



أفكار ومحاور هذا النص الذي يناقش مفاهيم في الشهادة من آخر ما كتبه الشيخ الشهيد أبو يزن الشامي للبرنامج الذي كان يعمل عليه، وصيغ بعد استشهاده قبله الله:

في أيام حركة الفجر الأولى كان معنا أخُّ مجاهدُ اسمه بلال، معظم كتيبته استشهدت في المعارك. كان كثيراً ما يقول: يا شيخي ما ظل غير أنا وأنت.

سألت عنه بعد تحرير منطقة الشقيف بحلب، فقالوا استشهد. كان شوقة لإخوانه أتقل عليه من أن يعيش طويلاً بعدهم.

أذكر أيضاً شاباً صغيراً اسمه يعقوب، كان ثقيل الوزن لا يصلح للمعارك فكنا نعيشه في الحراسة بينما يصر هو على أن نرسله ليجاهد في حلب.

من إصراره اشترط عليه قائد الكتيبة أن يصعد جبلاً عالياً ويعود ركضاً قبل أن يأخذه، رغم صعوبة ذلك على مثله لكنه فعل، واستشهد في المعركة التالية.

أبو مصعب عبد الله كرز من إخواننا، قبل استشهاده بب يومين حاولت إيقاظه لصلاة الفجر ما استيقظ معه، جاء في الصباح يعتذر مني، وقال: "أحكيلك مناماً يا شيخ؟ شفت حالي متصاوب وأنزف بعد معركة، فقلت لهم لا تسعفوني بدبي أروح شهيد" وبعد يومين راح شهيد.

الشيخ أبو خالد السوري - تقبله الله - استشهد معظم جيله الذين كانوا معه في الجهاد، كان لماً يجلس وينظر يجد من حوله الشباب الذين في أول اشتادهم، وهو الشيخ المتقدم في التجربة والعمر يتذكر إخوانه ويتحسر يقول: ما بيستشهد غير الكويسين، أما العاطل مثلي هو اللي بظل. بعدها أيام استشهد بين يدي.

لأجمل من حديث الشهادة والشهداء الذين يمضون مخلصين في سبيل الله يسرعون صاعدين إلى الله على دمائهم. والفضائل العاجلة والمكتنزة للشهيد عند الله لا تخفي على مجاهد في سبيل الله، أعظم من أن يضحك إليهم ربهم، كما في الحديث عن الذين إن لقوا في الصدف يلفتون وجوههم حتى يقتلوا!

ظلت الشهادة أمنية الصالحين، ودعاء العباد والزاهدين، وسعي المجاهدين، يقيناً بوجوب ولزوم البذل وبعظيم الأجر. بمقابل ذلك، هناك فرق بين طلب الشهادة والسعى إليها في جهاد الطلب وبينه في جهاد الدفع، على اعتبار أن الغنية في جهاد الطلب {وَأَرْضًا لَمْ تَطُوَّهَا}، أما في الدفع فهي المحافظة على أرض المسلمين من العدو الصائل، وأن رأس مال هذه المحافظة هم المجاهدون المدافعون أنفسهم، لذلك يشدد عليهم بالحذر وأخذ السبب حتى يصطففهم الله إن شاء وقد، وقد بذلوا السبب في الحماية والدفاع.

من أخطاء الجماعات تهاونها في أرواح شبابها واستسهالها ذهابهم وهم مادة الجهاد، إما بنقص الإعداد والتدريب، أو بضعف التحصينات الدفاعية الالزامية، أو بزجهم في معارك عبئية معلوم يقيناً نتيجتها وعدم جدواها، أو بعدم التخطيط الجيد للمعارك، أو بالانسحاب منها بعد تقدمهم بلا ضرورة ميدانية لازمة، أو بالسماح لهم الدخول في العمليات الاستشهادية دون حرص وعناية في اختيار الاستشهادي، وفي اختيار مكان تنفيذه أو العناية بالضوابط المشددة التي وضعها الفقهاء للعمليات الاستشهادية.

والعمليات الاستشهادية مسألة فقهية اجتهادية، لا يقدم عليها إلا من علم ضوابطها واستبصر بالواقع، أي أنه أدرك الشرع والواقع، وإلا كانت مثل الانتحار.

وفي ذلك يمكن تقييد قاعدة: "أن الأمر إذا أجيئ بضوابط لا يُترك لعامة الناس قياده".

ومن أخطاء الشباب - حديثي التجربة - قلة صبرهم على متابعة الطريق واستعجال نهايته والنظر للشهادة أنها الخلاص من الدنيا وشقائها وإنقاذه منها إلى الجنة من غير تحصيل لوازم وشروط ذلك.

الشهادة أرقى صور الإخلاص وأصعبها؛ لا تجعلها قناعاً للانتحار والهروب السهل مما أوجب الله على عبده أن يخوضه ويصبر عليه في الحياة.

الشهادة قمة في الوعي، هي إدراك لفلسفة الحياة وفك لعقدها؛ فلا نسمح لمن يشوهها بالعدمية والعبثية، وهي في امتدادها حياة. {أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

اللهم ألحنا بالآحیاء عندك يرزقون، نستبشر بإخواننا الذين لم يلحقوا بنا ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وثبتنا في سبيلك حتى نلماك شهداء لم يُفتنوا أو يستعجلوا.

المصادر: